أزمة الزواج فى مصر

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

اعتزم الأستاذ محمد فريد جنيدى وضع كتاب فى «أزمة الزواج الحاضرة فى مصر». ولما كان هذا الموضوع يمس حياتنا الاجتماعية فى صميمها فقد رأى المؤلف أن يفرد فى كتابه فصولاً خاصة يثبت فيها مايمن لقادة الفكر من آراء صائبة فى هذا الموضوع.

وقد وجه الدعوة فعلاً إلى كثير من النابهين والأعلام، فى خطاب جاء فيه مايأتى:

(١) ماهى العوامل التى ترونها سبباً فى أزمة الزواج؟

(٢) ماأهم النتائج التى نجمت عن هذه الأزمة؟

(٣) إذا كنتم تعتقدون أن الزواج يجب أن يظل المثل الأعلى، للشباب فماهو العلاج الذى تقترحونه؟

وفيما يلى نشر رد الزعيم السورى المعروف الدكتور شهبندر، على أنه متمم لسلسلة الآراء التى كانت «المعرفة» قد نشرتها فى عددى يوليو وأغسطس سنة ١٩٣١ حول هذا الموضوع نفسه.

***

قد لا تكون فى الأرياف أزمة زواج اليوم، لأن الفلاحين على ما أرى لم يتغيروا كثيراً عن ذى قبل. أما أزمة الزواج فى المدن فعاملها عامل مزدوج: أخلاقى واقتصادى. ومنذ ما أخذت عقيدة «الرزق المقسوم» يضعف أثرها فى النفوس أخذ يحل محلها اهتمام شديد بالمستقبل وحساب دقيق فى الدخل والخرج، وتجلى هذا الشعور بأجلى مظاهره فى أوربا، ولا سيما فى فرنسا حيث لم يتناقص معدل الزواج فقط، بل أصبح الزوجان يضبطان المواليد، حتى صار العدد العديد من الأسر مؤلفاً من والد ووالدة وولد واحد فقط، مع أن مواعظ الدين الذى يدينون به تتلو عليهم ألا يهتموا بطعام غدهم بل يسيروا فى دنياهم كما تسير الطيور من غير اهتمام بالحب الذى تلتقطه.

وبديهى أن مثل هذا الحساب يحمل الشاب ـ والشابة أيضاً ـ على التفكير كثيراً قبل الاقدام على إضافة عبء آخر إلى العبء الشخصى الذى يحمله أو تحمله؛ وصار طلب الدفاتر والحجج والوثائق عن المال المنقول وغير المنقول شرطاً جوهرياً عند الخاطب والمخطوب

إجمالا ، فأين هذا من تلك الأيام التى كان آباؤنا يقولون لنا فيها « بالقسمة » ؛ وإن لكل مخلوق جديد رزقاً جديداً ؟

ولحظ المتتبعون فى سورية أزمة زواج شاملة فى غضون الحرب العالمية . لا لأن الشبان كانوا بعيدين فى صف الحرب فقط ، بل لأن الطعام كان متعذراً ، وكل واحد كان يطلب السلامة لنفسه كأنه فى يوم الحساب . ومع سهولة الحصول على الزوجة — لأن النساء كن فى أشد حاجة إلى حماية الرجل وعنايته — فإن الأرمل الذى كان على عهد زوجه المتوفاة متمتعاً بالحياة الزوجية فضل البقاء عزباً بعد وفاتها لينجو بنفسه . وأما عيشة (ديك) واحد على (دجاجات) كثيرة فلم يبق لها من النزول والذرة — على كثرتهما — ما يكفيها ويقوم بأودها .

ثم إن انتشار التهتك والبغاء السرى والعلنى واشتداد « الاسترخاء الخلقى » بتأثير « الحب الطليق » والإباحية النافذة ، كل ذلك مكن الشاب الرقيق الحال من التمتع بجزء كبير مما يتمتع به الزوج الشرعى دون أن يكون مسئولا عنه ، ولا حاملا أعباء الأسرة ، فلا عجب والحالة هذه أن يفضل العزوبة خصوصاً بعد ما ضعفت سلطة الوازع النفسانى فى هذه الشئون كثيراً ، وانتشرت الآراء المتطرفة التى لا هم لها إلا هدم البنيان الاجتماعى القديم .

على أن الإنصاف يقضى بأن نذكر أيضاً — من جملة العوامل فى أزمة الزواج — عامل الاختلاف فى الثقافة بين الرجل والمرأة . ففى معظم مدن العالم العربى — ومصر والشام فى المقدمة — نجد طبقة من الرجال مسلحة بمعظم ما يتسلح به الرجل المهذب فى أرقى بلاد الغرب ، فى حين نرى طبقة النساء إجمالا — ولا عبرة بالشذوذ — لا تزال على مستوى المرأة قبل النهضة الشرقية الحديثة . لاجرم أن الشاب فى مثل هذه الحال يتعذر عليه أن يجد القرينة التى توافقه ، أو النصف الآخر من جسده — كما يقول الإنكليز — الذى يطابق النصف الذى عنده .

وقد نتج عن هذه الأزمة المتعددة الأسباب ما يسمى فى كتب العلم باسم « الدائرة الخبيثة » ، يعنى أن امتناع الرجال عن الزواج الشرعى زاد فى « الطلب » على من تستبيح المعيشة الطليقة ، فكثر « عرضها » فى الأسواق كما هى الحال فى السلع والبضائع !

وهذه الكثرة سهلت « بدورها » على الرجال أن يفروا من تحمل عبء الزواج ، وهكذا دواليك . فإذا استمرت هذه « الدائرة الخبيثة » فى عملها من غير تدخل إصلاحى اجتماعى حازم ، فالنتيجة الوصول بالمجتمع إلى الحالة الإباحية ، وها قد بدت بوادرها فى كثير من البلدان .

***

وكاتب هذه السطور ممن يؤمنون بالأسرة على علاتها ، ويرون أن إصلاحها هو السبيل الوحيد لإصلاح الجمعية البشرية وإنقاذها من أكثر الشرور التى تعانيها ؛ ذلك لأن الأسرة لا تزال إلى يومنا هذا الوحدة القياسية التى يتألف منها المجتمع وتحت لوائها تنحو الفردية

والاشتراكية في آن واحد، إذ يتلقى الابن عن أبويه فيها أول دروس الاستقلال الذاتي والخضوع المشترك .

والعلاج الناجع الذي تسألونني عنه لهذه الأزمة هو السعي لإزالة جميع العوائق المصطنعة الموضوعة في سبيل الزواج، وجعله ليس بعيداً فقط عن أن يكون عبئاً اقتصادياً ونكبة مالية، بل بيان الفوائد المادية التي يسبغها على الزوجين من بناء الأسرة المحكم ، وإظهار ما للتعاون الخالص بين المرأة والرجل من تخفيف الأثقال عن عاتقيهما كليهما ، على شرط تطبيق القاعدة الاجتماعية التي امتلأت بها كتب العلم وحلقات الدرس في أمهات الجامعات خاصة ، وهي الإشراف على المواليد إشرافاً علمياً ، وتحديدها على مقتضى الحاجة حتى تنقذ المجتمع من شر تلك الأسر الكبيرة المعدمة، التي لها من الأولاد المتعددين ما لأسراب القطا من الأفراخ في غير المراعي الطبيعية التي تقوم بأودها .

والقاعدة المقبولة في نظر الاجتماعيين هي أن الأسر التي تقتصر على ولد واحد وتستطيع إعداده بالوسائل الصالحة للدخول في معترك الحياة، خير للجمعية البشرية من تلك الأسرة التي تملأ الدار أولاداً وتعجز عن تثقيفهم وتربيتهم فيخرجون كلا على عاتق إخوانهم .

ثم لابد لنا معاشر الشرقيين من العناية التامة بتربية المرأة ؛ لأن الزمن الذي كان الزعماء وقادة الرأي يظنون فيه أن الشرق يستطيع أن ينهض بالرجل وحده قد دفناه في جملة ما دفناه من الآراء الناقصة والأفكار المغلوطة ؛ ثم إنه ما لم نثقف المرأة كما نثقف الرجل نكون قد حفرنا بأيدينا الهوة السحيقة التي تفرق بينهما ، فالتجانس والحالة هذه هو من الأدوية الناجعة في بعض الحالات .

وأخيراً يتعين على كل من تصدى للتعليم في المدارس والإرشاد في المعابد أن يستعين بالطرق الاجتماعية النفسانية الحديثة لينقش في ذهن النشء عقيدة ثابتة لا تزعزعها العواصف الطائشة ، تحوامها أن الزواج المبني على الحب الصحيح المتبادل ، هو السبيل الوحيدة للهناء الاجتماعي ؟

عبد الرحمن شهبندر

الراعي والعمياء

اقرأ في العدد القادم من «المعرفة» الجزء الأخير من رواية الراعي والعمياء للأستاذ المراوي